جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - قسم التاريخ

أستاذ المادة: د/ سمير مزرعي السنة الثانية ليسانس

المحاضرة الأولى: مفاهيم عامة حول مصادر تاريخ الجزائر

1/ تعريف المصدر التاريخي: هو المصدر والمنبع الذي يستقي منه المؤرخ أو الباحث منه المادة العلمية التي يستعين بها في إنجاز أبحاثه العلمية، ويمكن أن يكون المصدر عبارة أن أحفورة أن نقوش حائطية أو صور جدرانية او قطع أثاث فخارية أو مسكوكات معدنية أو وثائق أرشيفية..إلخ.

2/ أنواع المصادر:

المصادر التاريخية كثيرة ومتعددة، ويمكن أن نورد بعض الأنواع على سبيل المثال لا الحصر:

أ- المصادر الأولية: وتتمثل في الآثار المادية أي الآثار الأثرية والجيولوجية، ويشمل جميع المخلفات المادية التي خلفها الإنسان عبر فترات وأزمنة وعصور مختلفة، وهي تعتبر أحسن المصادر العلمية التي يمكن للباحث الاستفادة منها، إذ تعتبر شواهد أصلية للنشاط الإنساني، فهي تكشف أسلوب حياته وأنماط عيشه وضروب فكره، ومن بين هذه الآثار المادية ما يلي:

1- فنون العمارة: مثل القلاع والقصور والمساجد وغيرها.

2- النقوش: وتوجد هذه النقوش عادة على الأحجار والقبور ولوحات البرونز وجدران القصور والمعابد وأعمدة الرخام وفي الأضرحة الملكية وغيرها.

3- المسكوكات: وهي تتمثل في العملات الرسمية لأي حضارة أو دولة عبر مر مختلف الحضارات، وهي تساعد على ضبط التواريخ والأسماء، وتكشف لنا عن الأوضاع السياسة والاقتصادية والاجتماعية للفترة التي صكت فيها العملة، وهي تُدرس بنفس الطريقة التي تدرس بها القطع الأثرية للكشف عن مختلف البيانات التي تستعمل لفك مختلف الرموز والإجابات عن مختلف التساؤلات والفرضيات.

ب- المصادر المكتوبة: تختلف المصادر المكتوبة حسب اختلاف نوعها وأهميتها وتاريخها وطبيعتها ومن بينها ما يلي:

1- الوثائق الأرشيفية: ونقصد بها الوثائق الورقية التي خلفها الإنسان في المرحلة التاريخية المراد دراستها والتأريخ لها، فهي تحتوي على مادة علمية حصرية وحية غير قابلة للتغيير، فقد كتبت لأغراض وأحداث تخص تاريخ المرحلة، فتكون بذلك شهادة حية تصور مختلف الجوانب التي عاشها الأنسان والمجتمع، ومن بين هذه الوثائق مثلا نجد كلا من: الأوراق الرسمية لمختلف الدول؛ كالتقارير

السرية ووثائق المعاهدات والاتفاقيات والمراسلات والتسجيلات والمذكرات الخاصة والحوليات واليوميات والأوامر القضائية والمالية والاحكام والفتاوى، وغيرها من الوثائق الأرشيفية.

2- الكتابات التاريخية: وتشمل الكتب المخطوطة التي لا تزال حبيسة رفوف الخزانات العلمية، أو الكتب المطبوعة والمنشورة، وهي تنقسم بدورها **إلى كتابات أصلية أو أولية**: وهي الأهم لأن أصحابها نقلوا فيها حوادث معاصرة لهم، إما أنهم شاركوا مباشرة في الأحداث أو أنهم عايشوها وعاينوها عن قرب، أو أنهم لم يكونوا معاصرين للأحداث ولم يشهدوها بل اعتمدوا في نقلها على مصادر معاصرة لها، **وكتابات فرعية أو ثانوية**: وهي عبارة عن مؤلفات حديثة اعتمد أصحابها في تأليفها على المصادر الأولية الأثرية منها والكتابية.

3- المذكرات وكتب التراجم والسير: وهي عادة تكون مفيدة في مراجعة الحقائق التاريخية عن حياة الأشخاص والفئات والأقليات، وفي كثير من الأحيان تفيد في تطعيم المادة التاريخية إذ تحتوي على معلومات حصرية جد مهمة قد لا تتوافر في باقي المصادر الأخرى.

4- الرحلات الجغرافية: تكتسي كتب الرحلات الجغرافية أهمية كبيرة في تقديم معلومات مهمة عن بنية المجتمعات والشعوب التي زارها الرحالة وتوزيعهم الديموغرافي، وأنماط عيشهم وطبيعة تفكيرهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، كما أنها تقدم لنا تقريرا مفصلا عن جغرافية المناطق وتضاريسها وأسماء مدنها ومختلف الطرق المؤدية إليها وغيرها من المعلومات المهمة التي تفيد المؤرخ الباحث.

ج- المصادر الشفهية أو الشهادات الحية: تقتصر الشهادات الحية على التاريخ المعاصر، بحيث يكون صناع الحدث على قيد الحياة، يمكن أن نجري مقابلات شفهية معهم، أو أن هذه الشهادات الحية يكون قد توفي أصحابها لكنهم أجروا سجلوا شهادات حية في مرحلة سابقة وحفظت لنا في أقراص صلبة أو غيرها، فهي كذلك يمكننا أن نستفيد منها، ولكن مع كل ذلك؛ يجب علينا أن نخضع هذه الشهادات إلى النقد والتحليل ومقارنتها بالمعلومات التي نستقيها من الأرشيف والمصادر.

3/ الفرق بين المصدر والمرجع: المرجع هو كل ما كتب ونشر متأخراً عن زمن المصدر، وكثيراً ما يكون المرجع قد أخذ عن المصدر الرئيس، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الفرق بين المصدر والمرجع هو أن المصادر هي الوثائق والدراسات الأولى للأشخاص الذين عاشوا الأحداث والوقائع، أو كانوا طرفا مباشرا فيها، أو كانوا هم الوساطة الرئيسة لنقل وجمع المعلومات والأحداث التاريخية التي عايشوها بغرض حفظها للأجيال اللاحقة. أما المراجع فهي الكتب والمؤلفات التي اعتمد كتابها مؤلفوها أساسا على المصادر الأولية، فتتعرض لها بالتحليل والنقد أو التعليق والتلخيص.

4/ تقييم ودراسة المصادر: إن قيمة المصادر تختلف باختلاف مؤلفيها وكتابها، ومواضيعها ومناهج كتابتها، وطرق معالجتها للمواضيع التي تتناولها، وموضوعية مؤلفيها، فيجب على الدارس الباحث ملاحظة الدلائل والإشارات التي تكشف عن حقيقة المصدر وتوجهه، والطرح التاريخي الذي يحاول أن تقديمه، وكل هذا يتم في مراحل:

أ- المؤلف أو الكاتب: يجب التعرف على صاحب الكتاب ومكاناته العلمية والوظائف التي تقلدها، والبيئة التي عاش فيها وميوله الديني والسياسي، فالتعرف على شخصية الكاتب يقدم لنا في كثير من الأحيان فكرة عامة حول مضمون الكتاب، فمثلا إذا كان رجلا عسكريا أو رجل سياسة قريب من السلطة أو رحالة جغرافي مصاحب لفيلق من الفيالق أو ضمن حملة عسكرية، فإن كتاباته قد يشوبها الكثير من الذاتية، وبذلك يكون تأليف ونشر الكتاب يخدم أغراضا سياسية أو دينية، بحيث لا يورد الأحداث التاريخية الحقيقة.

ب- مضمون الكتاب: يجب على الباحث أثناء قراءته للكتاب أن يبحث ويستشعر الدلائل والإشارات التي تدل الحياد والموضوعية والابتعاد عن التحيز، فإذا كان الكتاب مثلا يعالج مواضيع دينية أو سياسية، فهل يحاول من خلال كتابه إنصاف الحقيقة التاريخية من خلال تقديم الأدلة والحجج والبراهين؟ وهل يقابل وجهات النظر مع بعضها البعض وترجيح إحداهما على الأخرى بما يخدم الحقيقة التاريخية؟ هل يستعمل المؤلف عبارات وشعارات وانتقاء أسماء توحي بأنه يحاول تغييب حقائق تاريخية أو أسطرة بعضها؟ فإذا تأكد الباحث خلو الكتاب من هاته العيوب والسلبيات، تحددت قيمته العلمية، وأمكنه اعتماد المادة العلمية التي يحويها الكتاب، وعلى هذا الأساس يكون تشكيله للطرح التاريخي تشكيلا صحيحا مبنيا على أسس قويمة ومعلومات صحيحة ودقيقة.

5/ مراحل قراءة المصادر: على الطالب أن يتعلم كيفية قراءة المصادر، والقراءة وليست هي المطالعة كما يعتقد البعض، لأن المطالعة قد تكون بنية زيادة التراكم المعرفي وكسب مزيد من الأفكار والمعلومات، غير أن القراءة هي التركيز على عناصر وأجزاء من الكتاب بما يتوافق مع موضوع بحثه، ويمكن أن نقسم القراءة إلى ثلاثة أنواع تأتي على مراحل مرتبة:

أ- القراءة السريعة: وتكون من خلال إطلاع الباحث على عنوان الكتاب وتحديد نوعه وميوله وتخصصه والفترة التي يدرسها، ومراجعة فهرس الكتاب وتحديد صفحات العناصر التي يحتاجها في بحثه، وقراءة بعض صفحات الفصول إن أمكن قراءة سريعة عابرة لأخذ فكرة عامة عن مدى أهمية المعلومات التي يقدمها الكتاب، فبالباحث بهذه القراءة يتشكل لديه انطباع عن الكتاب الذي بين يديه، وعلى هذا الأساس يمكن أن يصنفه ضمن الكتب المهمة أو الكتب الثانوية.

ب- القراءة العادية: في هذه المرحلة يبدأ الباحث بقراءة الفصول والعناصر التي حددها مسبقا أثناء القراءة السريعة، ويحاول قدر الإمكان جمع ما أمكن جمعه من المادة العلمية والنصوص والاقتباسات ومحاولة التعليق عليها في بطاقات خاصة دون أن ينسى كتابة تفاصيل المرجع والصفحة في الحين، وفي حالة نسيان كتابة الإحالات قد يفقد الصفحات التي اقتبس منها المعلومات وفقدان تركيزه وتشتت ذهنه نتيجة الكم الهائل للكتب التي ستعامل معها أثناء البحث.

ج- القراءة العميقة: يجب على الباحث أن يستجمع قواه ومداركه وتركزه في قراءة بعض النصوص وبعض الفصول بكثير من التعمق والتحليل والدراسة، ويحاول هضم المادة المتوفرة، وقراءة ما بين السطور وتحليل ما أمكن تحليله من خلال تنويع مصادر ومراجع القراءة، قصد ما فهم واستيعاب ما استعصى عليه، ويحاول أن يعيش تفاصيل الحادثة التي عاشها الكاتب بغية فهم أبعاد الحادثة، وفي هذه المرحلة يجد الباحث نفسه متعلقا أكثر بالكتاب نظرا لأهميته وقيمته.